غزوات المصطفى ﷺ

(١٣)

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ..
« هَوَازِنَ »

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَا هُوَ سَبَبُ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ؟

بَعْدِ سُقُوطِ مَكَّةَ ، تَفَرَّغَ المُسْلِمُوْنَ لِلدَّعْوَةِ ، وَأَمَّا القَبَائِلُ الَّتي كَانَتْ تُكَابِرُ فَإِنَّ المُسْلِمِينَ كَانُوا يَزْحَفُونَ إِلَيْها .

فَخَافَتْ بَعْضُ القَبَائِلِ المُتَواجِدَةِ حَوْلَ الطَّائِفِ أَنْ يَحْدُثَ لَهَا ذٰلِكَ ، فَاجْتَمَعَتْ قَبَائِلُ (ثَقِيفٍ ، وَهَوازِن ، وَجُشَمٍ ، وَنَصْرٍ ، وَغَيْرِها..) ، وَوَلَّوا عَلَيْهِم الشَّابَّ (مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ) عَلَىٰ أَنْ يَسْتَشِيرَ الخَبيرَ (دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ) .

وَبَلَغَ عَدَدُهُمْ قُرَابَةَ ثَلاثينَ أَلْفاً ، وَأَمَرَهُمْ

(مَالِكٌ) أَنْ يَسُوقُوا مَعَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَمَواشِيهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَنِساءَهُمْ ، وَذٰلِكَ كَيْ يُدَافِعُوا عَنْهَا وَيَثْبُتُوا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلا يَفِرُّوا .

فَاعْتَرَضَ (دُرَيْدُ) عَلَىٰ ذٰلِكَ ، وَقَالَ : لَنْ يَرُدَّ المُنْهَزِمَ مَالٌ وَلاَ وَلَدٌ وَلا امْرَأَةٌ وَلا المَوَاشِي ، إِنَّما يَرُدُّهُ السَّيْفُ وَالرُّمْحُ .

وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ اجْتِمَاعِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، عَزَمَ عَلَىٰ الخُروجِ إِلَيْهِمْ ، فَانْطَلَقَ وَمَعَهُ قُرَابَةَ اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ .

* * *

لَنْ نُهْزَمَ مِنْ قِلَّةٍ!!

وَسَارَ الجَيْشُ الإِسْلامِيُّ الكَبِيرُ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَقَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ بِكُلِّ عُجْبٍ : لَنْ نُهْزَمَ مِنْ قِلَّةٍ!!

وَلَمَّا مَرّ المُسْلمونَ (بِذَاتِ أَنْوَاطٍ) قَالَ بَعْضُ مَنْ أَسْلَمَ حَدِيثاً مِنْهُمْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ .

فَقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « الله أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

وَأيْمُ اللهِ إنَّها السُّنَنَ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ » .

وَوَصَلَ جَيْشُ القَبَائِلِ إلىٰ مَنْطِقَةِ حُنَيْنٍ ، وَذٰلك قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَيْها المُسْلِمُونَ ، فَقَامَ المُشْرِكُونَ بِنَصْبِ الكَمَائِنِ في مَضَايِقِ الوَادِي ، وَتَمَرْكَزُوا في الأَمَاكِنِ الحَسَّاسَةِ ، وَتَمَتْرَسُوا خَلْفَ الصُّخُورِ...

وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلِمونَ إلَىٰ المَكَانِ ، فُوجِئُوا بِالنِّبالِ تَأْتِيهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَعَادَ المُسْلمونَ القَهْقَرَىٰ ، وَكَادَتِ الهَزِيمَةُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِمْ ، فَفَرَّ مِنْهُمْ مَنْ فَرَّ ، وَهُزِمَ مَنْ هُزِمَ!

وَكَانَتْ وَصِيَّةُ (مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ) لِقَوْمِهِ :

إنَّ مُحَمداً لَمْ يُقاتِلْ قَوْماً قَطُّ قَبْلَ هٰذِهِ المَرَّةِ ، وَإنَّما كَانَ يَلْقَىٰ قَوْماً أَغْماراً لا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ

فَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ فَصُفُّوا مَوَاشِيَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ ثُمَّ صُفُّوا ، ثُمَّ تَكُونُ الحَمْلَةُ مِنْكُمْ ، وَاكْسِرُوا أَغْمَادَ سُيُوفِكُمْ ، فَتَلَقَّونَهُ بِعِشْرِيْنَ أَلْفِ سَيْفٍ ، وَاحْمِلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الغَلَبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أَوَّلاً .

* * *

وَلَمَّا الْتَحَمَ الجَيْشَانِ

وَلَمَّا بَدَأَ بَعْضُ المُسْلِمينَ بِالفَرَارِ ، ثَبَتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ عَدَدٍ قَليلٍ مِنَ المُسْلِمينَ ، وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُرَدِّدُ :

أَنَـا النَّبِـيُّ لاَ كَـذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وَأَمَرَ الرَّسُولُ العَبَّاسَ أَنْ يُنادِيَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : « يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرَةِ... الآنَ حَمِي الوَطِيسُ » .

* * *

وَانْقَلَبَتِ الهَزِيمَةُ إِلَىٰ نَصْرٍ!!

وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ وَرَاحَ يَدْعو :

« اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنا ، اللَّهُمَّ كُنْتَ وَتَكُونُ ، وَأَنْتَ حَيٌّ لا تَموتُ ، تَنَامُ العُيُونُ ، وَتَنْكَدِرُ النُّجُومُ ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، يَاحيُّ يَا قَيُّومُ ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ وَإِلَيْكُ المُشْتَكَىٰ وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ... » .

وَانْتَبَهَ المُسْلِمُونَ لِمَا فَعَلُوهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَيْحَنَا ، أَنَفِرُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ وَقَدْ بَايَعْنَاهُ تَحْتَ شَجَرَةِ الرِّضْوَانِ ؟!

أَنَفِرُّ عَنْهُ وَقَدْ فَتَحْنَا مَعَهُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ ؟! أَنَفِرُّ عَنْهُ وَقَدْ عَايَشْنَا مَعَهُ الأَيَّامَ المَرِيرَة الصَّعْبَةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ... ؟! ؟

وَتَسَابَقُوا بِالعَوْدَةِ إِلىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، وَحَدَثَتْ بَعْضُ المُبَارَزَاتِ بَيْنَ الفُرْسَانِ ، وَشَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ المُنْتَصِرَ فِيها هُمُ المُسْلِمُونَ .

وَكُلَّما اقْتَرَبَ المُسْلِمُونَ أَكْثَرَ رَأَوا رَسُولَهُمْ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو رَبَّهُ قَائِلاً :

« اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لا تُعْبدَ بَعْدَ اليَوْمِ ، اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُصَاوِلُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ » .

وَأَمَدَّ اللهُ المُسْلمينَ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِهِ ، حَيْثُ

أَرْسَلَ لَهُمْ جُنْداً مِنَ المَلائِكَةِ لِتُقَاتِلَ مَعَهُمْ وَتَشُدَّ مِنْ أَزْرِهِمْ .

وَبِذٰلِكَ انْقَلَبَتِ الهَزِيْمَةُ إِلىٰ نَصْرٍ ، حَيْثُ كَانَ فِي ذٰلِكَ دَرْسٌ تَرْبَوِيٌّ للصَّحَابَةِ ، وَلِمَنْ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ .

ذٰلِكَ لأَنَّ القَضِيَّةَ لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ العَدَدِ وَلا العُدَدِ ، إِنَّما تَتَلَخَّصُ القَضِيَّةُ بِأَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، مِصْدَاقُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾

[آل عمران : ١٢٦] .

صحيحٌ أَنَّ عَلَيْنا إِعدادَ العُدَّةِ ، والتَدْرِيْبَ عَلَىٰ السِّلاحِ وَمَا إِلىٰ هُنالِكَ ، لٰكِنْ مَعَ ذٰلِكَ ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَم يَقِيْناً أَنَّ النَّصْرَ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ .

قال تعالىٰ : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

[الأنفال : ٦٠] .

أَي : أَعِدُّوا مِنْ أَجْلِ أَنْ تُرْهِبُوا العَدُوَّ... ، لا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَنْتَصِرُوا ، فَقَطْ لِتُخِيفُوا العَدُوَّ وَتُرْهِبُوهُ .

وَالقَانُونُ القُرْآنِيُّ الثَّابِتُ : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وَالهَزِيمَةُ فِي بِدَايَاتِ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ كَانَتْ رَدّاً عَلَىٰ التَّفَاخُرِ بِالعَدَدِ ، فَهِيَ رَدٌّ عَلَىٰ مَنْ قَالَ : لا نُغْلَبُ مِنْ قِلَّةٍ .

* * *

مَا هٰذَا الخِنْجَرُ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟

وَشَارَكَتِ النِّسَاءُ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ ، فَمَثَلاً أُمُّ سُلَيْمٍ ابْنَةُ مِلْحَانَ شَارَكَتْ مَعَ زَوْجِها أَبي طَلْحَةَ - وَكَانَتْ حَامِلاً -!!

وَأَثْنَاءَ المَعْرَكَةِ الْتَفَتَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَيْها ، فَرَآهَا تَضَعُ عَلَىٰ خَصْرِهَا خِنْجراً ، فَسَأَلَها : مَا هَذَا الخِنْجَرُ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟

قَالَتْ : خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ!

فَلَمَّا سَمِعَها رَسُولُ اللهِ ابْتَسَمَ ، وَدَعَا لَهَا .

* * *

وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً

وَلَمَّا انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ فِي المَعْرَكَةِ ، تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ قُرَابَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفِ شَاةٍ ، وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفِ بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةَ آلافِ أُوْقِيَّةٍ مِنَ الفِضَّةِ ، وَغَيْرَ ذَلكَ مِنَ الغَنَائِمِ الكَثِيرَةِ الَّتي جَعَلَها اللهُ غَنَائِمَ لِلْمُسْلِمِيْنَ .

وَخَلَّدَ البَيَانُ الإلٰهيُّ غَزْوَةَ حُنَيْنٍ ، وَذٰلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾

[التوبة : ٢٥-٢٧] .

وآخرُ دعْوانا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ

* * *